ماستر 1 تاريخ الغرب الإسلامي

مقياس التاريخ السياسي للأندلس

المحاضرة 6: عصر الخلافة بالأندلس.

1 الخليفة عبد الرحمن الثالث: الناصر لدين الله 300-350هـ /918-961م .

هو عبد الرحمن بن محمد بن الأمير عبد الله، ولد في 22 رمضان 277 هـ قتل أبوه وهو لم يتجاوز الواحد والعشرين يوما، وقد نشأ في بيت الإمارة في رعاية جده فأحسن تعليمه وتهذيبه الى جانب استعداده الفطري مما جعل أعمامه يقدمونه على أنفسهم في الإمارة.

تولى الحكم في ربيع الأول سنة 300 هـ وهو في الثالثة والعشرين من عمره وقد حكم خمسين سنة، لقد تميز عهده في البداية باستمرار الفتن والثورات لذلك اتبع سياسة داخلية اتسمت بالترغيب والترهيب، تمثلت الأولى في بعث الكتب الى العمال في جميع أنحاء الأندلس يحثهم على وقف التمرد وتقديم الطاعة وقد سارع الكثير من الثوار إلى الخضوع لعبد الرحمن الثالث، أما الطريقة الثانية فقد تمثلت في محاربة الثائرين الذين رفضوا الطاعة وقد تمكن من القضاء عليهم وخاصة بنو الحجاج وبنو حفصون

أ ـ اعلان الخلافة:.

بعد أن استتب الأمر لعبد الرحمن في الأندلس و تمكنه من توحيد أقاليمها أقدم على تغير لقب العمارة بلقب الخلافة ، وكان ذلك في سنة 316هـ /929م حيث قرر أن تكون الدعوة له في مخاطباته و المخاطبات عنه في جميع ما يجري ذكره فيه بأمير المؤمنين ، فأصدر منشورا عاما الى عماله في الأقاليم و المدن الأندلسية يقول فيه " وقد رأينا أن تكون الدعوة لنا بأمير المؤمنين و خروج الكتب عنا ، وردودها علينا كذلك ، اذ كل مدعو بهذا الاسم غيرنا منتحل له ، ومتسم بما لا يستحقه منه و علمنا أن التمادي على ترك الواجب لنا من ذلك حق لنا أضعناه ، واسم ثابت أسقطناه .فمر الخطيب بموضعك أن يقول به ،أجر مخاطبتك لنا عليه إن شاء الله ".

ومن جهة أخرى قفد أمر بإثبات عبارة " الناصر لدين الله أمير المؤمنين " في أعلامه و طرازه ودنانيره ، وهكذا تحولت الاندلس من إمارة الى خلافة و قد استمر لقب خليفة في ذرية عبد الرحمن الناصر من بعده حتى سقوط الدولة الاموية ،رغم أن أمراء بني أمية الذين حكموا قبل الناصر وان كانوا قد قطعوا الدعاء لبني العباس الا انهم لم يتلقبوا بلقب الخلفية ، وذلك انهم كانوا يرون أن الخلافة وحدة لا تتجزأ و لا تتعدد وأن الخليفة الشرعي هو حامي الحرمين الشرفين في الحجاز ، الا أن هذا الطرح تغير فيما بعد وأصبح الميل الى إمكانية تعدد الخلافة اذا دعت الضرورة السياسية و مصلحة المسلمين الى ذلك وعلى هذا الاساس أعلن عبد الرحمن نفسه خليفة للمسلمين .

ومن العوامل التي اثرت على هذا التحول ودفعت اليه.

ـ ضعف الخلافة العباسية في المشرق واستبداد القواد الاتراك بها وعجز ها عن حماية العالم الاسلامي

ـ اتساع ملك عبد الرحمن الناصر وتوحيده للأندلس بعد القضاء على جميع الثورات.

ـ قيام خلافة شيعية فتية معادية للدولة الأموية والعباسية وهي الخلافة الفاطمية والتي كانت لها أطماع في الأندلس.

ـ ضعف أمراء بني أمية الثلاثة في قرطبة نتيجة الثورات والفتن فأصبحت الحاجة ماسة الى رفع مكانة ومنزلة السياسية والدينية للسلطة الأموية في قرطبة .

ـ الاستجابة لرغبة الاندلسيين في أن يكون لهم خليفة للمسلمين.

ب ـ سياسة الناصر الخارجية.

تتلخص هذه السياسة في معالجة أربع نقاط رئيسية منها

1 الخطر الفاطمي: تميزت علاقة الناصر بالفاطميين بالصراع والعداء لاختلاف المذهبين ولرغبة الفاطميين في السيطرة على المغرب الإسلامي، وقد تبادلا الطرفين عدة حملات وغارات بحرية

2 خطر الدويلات المسيحية في شمال اسبانيا: نظرا للخطر المستمر و الحملات المسيحية المتكررة على اسبانيا الإسلامية صمم عبد الرحمن على مواجهة الممالك المسيحية منها بالدرجة الأولى ليون وقشتالة

ونافارا ، فخاض عدة حروب ضد هذه الممالك و ألحق بها هزائم كثيرة و هدم حصونهم و استرد البلاد التي انتزعوها من المسلمين ،ولما ظهر الانقسام و الصراع بين الممالك النصرانية استغل عبد الرحمن هذا الوضع وربط علاقات ودية خاصة مع ملك نافار ونال من ورائها المسلمون حصونا على الحدود الشمالية

3 مقاومة الخطر النورماندي: مثلت ولاية نورمنديا (غرب فرنسا) خطرا على ثغور الأندلس الشمالية، حيث تعددت الغارات النورماندية البحرية والبرية على المدن الأندلسية وقد تصدى عبد الرحمن لهذه الحملات ومنعها من تحقيق أهدافها، ولكن هذا الخطر قد زاد أكثر في عهد ملوك الطوائف

4 علاقاته مع ملوك أروبا: بفضل ما تحقق في عهد الناصر من إنجازات عسكرية خاصة نشاط البحرية الإسلامية في حوض البحر المتوسط، هذه الانتصارات جعلت ملوك أروبا تبحث عن تحقيق علاقات دبلوماسية حسنة مع الأندلس ،فقد تبادل الناصر السفارات و الهدايا مع كل من إمبراطور الدولة البيزنطية وإمبراطور الدولة الرمانية المقدسة .

ج- إنجازات عبد الرحمن الناصر لدين الله .

بعد أن اتخذ الناصر لدين الله لقب الخليفة أدخل تغيرا حاسما على طبيعة الدولة الأموية بالأندلس ، فقد اصبحت خلافة إسلامية عامة مساوية لخلافة بني العباس في المشرق ،لذلك زاد نظام حكمه في قرطبة ضخامة ومهابة ومن جهة أخرى فقد ازدهرت التجارة و الصناعة والزراعة في هذه الفترة و انعكس هذا الازدهار على خزينة الدولة حيث حققت فائضا كبير ا مما دفع بالناصر الى تقسيم مصاريف الدولة الى ثلاثة أقسام ،ثلث للبناء و المصاريف الحكومية وثلث للجيش وثلث يدخر لمواجهة الازمات و النفقات الاستثنائية .

توفي الناصر لدين الله في شهر رمضان سنة 350هـ / 961 م وهو في الثالثة والسبعين من عمره.

2 ـ الحكم الثاني المستنصر بالله 350هـ/961م .

ولي المستنصر وقد تجاوز الأربعين من العمر، وكانت له دراية بإدارة بعض الولايات و قيادة الجيوش، وقد تولى الحكم بعد أن حقق له الناصر الاستقرار و الهدوء و قضى على الفتن الداخلية و أضعف النصارى في الشمال.

سياسته الخارجية

لقد حاول النصارى في الشمال انتهاز فرصة انشغال الأمير بالعلم والعلماء من أجل التحرر من عهودهم و مواثيقهم التي قدموها لأبيه و بدأوا بالإغارة على أطراف الدولة فنهض الحكم بالغزو بداية من سنة 352هـ / 963م حيث خرج المستنصر بنفسه على رأس صائفة كبيرة نحو الشمال حقق من خلالها انتصارات على النصارى و بالتالي ضمن سلاما على الحدود بين المسلمين و النصارى استمر طيلة أيام حكمه، بفضل ما كانت القوات الإسلامية تتمتع به من قوة وحسن استعداد.

أما في بلاد المغرب فالذي شغل الحكم أكثر هو أمر الفاطميين، ونظرا للعداء المبدئي للفاطميين الشيعة تبنى سياسة أبيه الناصر، ورأى أن بقاء الفاطميين على سواحل المغرب المقابلة للأندلس خطرا و تهديدا لسلامة دولته، ورغم تحول الفاطميين نحو القاهرة و أوكلوا ادارة شؤون الدولة إلى بلكين بن زيري بن مناد أكبر زعماء قبائل صنهاجة البربرية، وهذا ما دفع بالحكم الى السيطرة على مضيق جبل طارق و القواعد المطلة على المضيق مثل سبة وطنجة لحماية حدود دولته.

ومن جهة أخرى فقد تصدى للأدارسة الذين حاولوا الاستقلال بملكهم و استعادة دولتهم فأرسل اليهم الحكم قائده غالب بن عبد الرحمن الذي تمكن من اخضاعهم و قضى على دولتهم و نقل بقايا أسرة الأدارسة إلى قرطبة و بذلك انتهى خطر الادارسة نهائيا .

ومن مميزات حكمه هو اعتماده في ادارة شؤون دولته على وزرائه ومن أبرزهم جعفر بن عثمان المصحفي الذي كان يتصرف بكل حرية في شؤون الدولة و بالتالي ظهرت طبقة من الموظفين الكبار سيكون لها دور في الحياة السياسية في الأندلس ، ولما شعر الحكم بدنو أجله دعا الناس الى بيعة ابنه هشام و كان لا يزال طفلا ، وقد اتهمه الناس بالرضوخ لزوجته صبح التي كانت تسعى بكل الوسائل لتثبيت ابنها

هشام في الحكم وقطع الطريق أمام أعمامه ، و قد توفي الحكم في صفر سنة 366هـ/ 976م و بموته انتهى أخر العظماء من بني أمية الاندلسيين .

3 الأمير هشام الثاني المؤيد بالله 366–399هـ / 976 –1009م.

تولى هشام الحكم و هو طفل صغير قد تجاوز عشر سنوات و لم تجر الأمور على نحو ما قدر الخليفة المستنصر اذ وقعت أزمة بعد وفاته ، و انقسم الناس الى حزبين كل حزب له رأي خاص حول من له الحق في الحكم ،فحزب رجال الدولة والذي يتزعمه الحاجب المصحفي و الوزراء و منهم محمد بن أبي عامر و صبح أم هشام ، ويرى هذا الحزب الإبقاء على هشام الطفل حفاظا على وصية الخليفة و حق لهم السيطرة على مقاليد الأمور في الدولة ، أما الحزب الثاني فهو الحزب العسكري الذي يمثله الصقالبة و كبار الجيش و الذين قرروا تنحية هشام لصغر سنه و تولية رجل يكون قادرا على حماية الدولة وهو المغيرة بن عبد الرحمن الناصر ، فتنازع الحزبان حول تقرير مصير الدولة ، وفي النهاية انتصر حزب الوزراء بقيادة المصحفي بعد تدبير مؤامرة قتل من خلالها المغيرة وبعدها قام المصحفي بأخذ البيعة للأمير هشام دون أية معارضة جدية ، ونظرا للتنافس الكبير بين المصحفي و ابن أبي عامر هدا الأخير و بسبب وقوف صبح الى جانبه فقد تمكن من الوصول الى منصب الحاجب أي رئيس للوزراء ثم أزاح صاحبه من الوزارة و أدخله السجن ثم أمر بقتله .

وهكذا بدأت مرحلة جديدة في تاريخ دولة الإسلام في الأندلس وحياة البيت الأموي، لقد صار السلطان الفعلي الى محمد بن أبي عامر الذي سيطر على الحياة السياسية، وبالتالي أطلق على هذه المرحلة بعهد الأسرة العامرية أو الدولة العامرية، أما الخليفة الشرعي هشام المؤيد فقد أصبح منشغلا بالترف واللهو فهو شخصية لا يؤبه لها كما يقول ابن الخطيب.